

المؤتمر العام

C 81/INF/9

November 1981

منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة ، روما

A

الدورة الواحدة والعشرون

روما ، ٢٦-٧ / ١١ / ١٩٨١

محاضرة فرانك ماكدوجال التذكارية

في منظمة الأغذية والزراعة

تلقاها

السيدة انديرا غاندي

رئيسة وزراء الهند

روما ، ٩ / ١١ / ١٩٨١

ان الجياع في العالم مدينون بالكثير لفرانك ماكدوجال الذي كان واحدا من المسوؤولين عن انشاء هذه المنظمة العظيمة . وانه لمن دواعي الفخار أن ألقى هذه المحاضرة تكريما له ، لا سيما في حضرة هذا العدد الكبير من الشخصيات البارزة المعنية بصورة مباشرة بتخطيط البرامج الزراعية وتنفيذها في مختلف بقاع العالم . فلقد كان فرانك ماكدوجال يدرك كل الادراك أهمية التكافل العالمي في مجال الزراعة ، وقد أضاء فرانك ماكدوجال السراج وعلينا أن نحافظ على شعلته . كما أنني أود هنا أن أتوجه بالتهنئة السليمة للمدير العام ، الدكتور اد وار صوما ، لا عادة انتخابه ، متمنية له النجاح في جهود . من أجل تحقيق الأمن الغذائي العالمي .

ان الحياة والغذاء مترابطان ولا انفصام بينهما . وفي كتب الحكمة الهندية القديمة ترتيلة عنوانها يوبانيشادز ، تقول :

من الغذاء تولد جميع المخلوقات التي تعيش على الأرض ، وبعد ولادتها تعيش على الغذاء ، وعندما تموت تصبح فداء .

ان البحث عن الغذاء هو أساس كل المساعي والجهود ولقد كانت الرغبة في تحقيق الوفرة - سواء من خلال الصيد أو القنص أو الحصاد - هي أقدم مهنة اجتمع عليها تفكير أبناء الجنس البشري .

ولقد نشأت الحضارات الأولى عندما تحول الصياد الى مزارع ، وبذلك أصبحت الزراعة مهد الحضارة . وفي بلادى توجد مناطق ظلت تزرع دون انقطاع لعدة آلاف من السنين . إلا أنه عندما دار القدر دورته الغربية أصبحت نفس هذه الأراضي ، التي ازدهرت فيها الزراعة في الماضي ، تواجه في الوقت الحاضر عجزا في الأفضية ، بل وأصبح يشار اليها من قبيل السخرية على أنها أراض قديمة .

وعندنا أفضية شعبية تصف الهند بأنها تتعم بالماء الوفير ، وأن أرضها غنية بالفواكه والمزروعات الخضراء والنباتات المورقة . ونقول لنا كتب التاريخ انها كثيرا ما تعرضت للمجاعات ، وقد استمرت احسدى هذه المجاعات في "مجاد ما" اثنى عشر عاما بعد فترة فير طويلة من حملة الاسكندر في القرن الثالث قبل الميلاد . وبالرفم من الثروات الأسطورية التي نعمت بها بلادنا عبر القرون فقد عرف الكثيرون من أبناء شعبنا الجوع ، وثقافت الأوضاع أيام الحكم الأجنبي بما واكبه من تدفق الموارد الى الخارج . وذات يوم قال المهاتما غاندى ان الله لا يمكن أن يظهر للفقراء إلا في صورة رفيف . والذي أتذكره ويتذكره الكثير من أبناء جيلي هو أن آخر ذكرى للحكم الأجنبي في الهند هي تلك المجاعة الشهيرة التي أصابت البنغال في أوائل الأربعينات والتي راح ضحيتها ثلاثة ملايين نسمة أو أكثر . ولقد أقسمنا بالآسح بتكرار ذلك مرة أخرى .

وبوسع الهند الآن ، وبعد أن نالت حريتها ، أن تقول بحق انه بالرغم من حالات الجفاف الشديد
الكثيرة ، لم يعد السكان يموتون جوعاً * ولكي نحافظ على هذا العهد لجأنا الى استيراد الحبوب منذ سنوات
طويلة * وعندما أصبحت رئيسة للوزراء عام ١٩٦٦ كانت الهند في أقسى ظروف القحط والمجاعة * ولا زلت
أذكر تماما أنني كنت اتبع حركة كل سفينة وكل قطار لكي أتأكد من أن الغذاء يصل فعلا الى أكثر المناطق
احتياجا له * ولقد أقنعتنا هذه التجربة بأن نعطي الأولوية القصوى للاكتفاء الذاتي من الأذية * وفي
أوائل السبعينات عندما تنبأ الخبراء بحدوث حالات من العجز المستعصي ، كنا قد أصبحنا نتمتع أخيرا
بالاكتفاء الذاتي من الحبوب * وبالإضافة الى توفير متطلبات الحبوب العادية اللازمة لبناء شعبنا السدى
يمثل ١٤% من سكان العالم ، استطاعت الهند خلال ١٩٧٩-١٩٨٠ التغلب على حالة من الجفاف هي أسوأ
حالات الجفاف التي شهدتها هذا القرن ، وقد أثر هذا الجفاف على ٣٨ مليون هكتار من الأراضي الزراعية
وعلى أكثر من ٢٢ مليون نسمة في احدى عشرة ولاية من الولايات الهامة - بل لقد استطعنا تقديم العون
لبعض جيراننا *

ومنذ منتصف السبعينات توجد لدينا مخزونات وقائية لا بأس بها * ومع ذلك فلا مجال للارتياح
والخروج ، إذ أن هذا الاكتفاء الذاتي الذي نتمتع به قد لا يصمد أمام سلسلة من حالات القحط * ومع ذلك
فإن مجرد تحقيق هذا الاكتفاء الذاتي يرجح الفضل فيه الى ارادتنا القومية والى حسن تقدير المزارعين
الهنود وعظمتهم الجاد واستعدادهم للاستعانة بالعلم والادارة الجيدة *

ولقد تضافرت مجموعة من العوامل في مضاعفة انتاجنا من الحبوب أو الاقتراب من ذلك * ومن هذه
العوامل الأولوية التي أولاها جواهر لال نهرو للزراعة في استراتيجيته التخطيطية التي وضعها ، وعنايته الكبيرة
بالمراقب الأساسية للرى ، والطاقة ، والبحوث العلمية وخدمات الارشاد ، واصلاح نظم الحيازة بما أتاح من
حق الملكية للملايين من السكان ، الى جانب التسهيلات الائتمانية والتسويقية *

ولقد تحقق الاكتفاء الذاتي في الأذية الى حد كبير من خلال تعبئة جهود المزارعين ذوى الحيازات
الكبيرة والمتوسطة * وقد أدركنا أن ماسى بالثورة الخضراء ، أدى الى تفاقم بعض المشكلات في المناطق
الريفية ، لا سيما مشكلة التفاوت بين كبار المزارعين وصغارهم والتوتر بين أصحاب الأراضي والعمال * إلا أن
هدفتنا الرئيسية في ذلك الوقت كان يتمثل في أن نحرر أنفسنا من الاستيراد * وفي نفس ذلك الوقت ، كنسنا
نضع البرامج الخاصة لصغار المزارعين لزيادة مكاسبهم من الانتاج بتزويدهم بمستلزمات الانتاج واتاحة فرص
الاصمود أمامهم * كذلك اكتشفت التجربة الهندية حقيقة هامة وهي أن انتاجية المزرعة لا تتأثر ، الى حد بعيد
بحجم المزرعة * وهذا استنتاج طيب بالنسبة لكل البلدان النامية المكتظة بالسكان والتي يقوم اقتصادها
على الزراعة * كما اننا نضع البرامج لايجاد فرص عمل بديلة للفلاحين المعدمين *

وتشكل حملة تنظيم الأسرة التي نضطلع بها عسرا أساسيا آخر للاكتفاء الذاتي الغذائي وفي النهوض
بمستويات المعيشة بصورة عامة * وثمة حقيقة لا يسهل فهمها في أوروبا هي أن الأمية لم تثق عثرة في سبيل
استفادة مزارعنا من المعرفة الحديثة * فلهؤلاء الناس ميراث طويل من التعلم مما يروونه وبسمعهه *

ولقد كان هناك نقاد كثيرون داخل الهدد وخارجها ممن انتقدوا استراتيجيتنا الانمائية، واتهمونا بأننا نقدم الصناعة على حساب الزراعة * بيد أنه لا يمكن التفكير في التنمية الزراعية بمعزل عن التنمية الصناعية أو التنمية الاقتصادية بمشمولها. إذ تعتمد الزراعة على الصناعة في توفير الامدادات من المستلزمات وفسي ازكاء الطلب على المنتجات. ذلك أن نمو الانتاجية الزراعية يتكيف وفقا لفرص العمالة المتاحة في قطاعات أخرى، ووفقا لتوافر الامدادات من المستلزمات - بخلاف الأراضي - بأسعار زهيدة، ووفقا لاستيعاب المنتجات بأسعار مجزية * وللأسراع بخطى التنمية، لجأت بعض البلدان الى تحويل مدخراتها أو فوائضها الزراعية الى الصناعة * وساعد هذا في دفع التنمية الصناعية دفعا ملحوظا، وان كان قد أدى كذلك الى الحد من الاستثمارات في قطاع الزراعة * ففي الهند، حيث تعتمد الغالبية العظمى من السكان على الزراعة، لا بد من زيادة الاستثمارات بصورة تدريجية مطردة لكي يؤدي ذلك بدوره الى زيادة الانتاج الزراعي والانتاجية الزراعية بمرور الوقت * وهذه هي سياستنا، التي تتضح في معدلات الاستثمار الزراعي في مختلف فترات خطط التنمية * ومن الخطأ كذلك القول بأنه يمكن دعم التنمية الزراعية على حساب التصنيع * فهذان القطاعان متكاملان، ونمو أحدهما يرتبط ارتباطا وثيقا بنمو القطاع الآخر *

ونحن الذين نسير على هدى استراتيجية جواهر لال نهرو، نركز على بناء أسس حصينة من الاعتماد الذاتي * وينصب اهتمامنا في الوقت الحاضر على ما يلي :

- (١) تنفيذ المشاريع الذي تستهدف الحد من الفقر لاسيما في المناطق المتخلفة وبين أضعف طوائف السكان من خلال تنمية المناطق الريفية، وتوليد فرص العمالة، ودعم القوة الشرائية، ونقل ملكية الأصول المنتجة من الأراضي والحيوانات اليهم *
- (٢) النهوض بالبحوث الزراعية التي تناسب الظروف المحلية، ونقل نتائجها ومزاياها الى الحقول من خلال البرامج المسماة " من المختبر الى الأرض" وغيرها من البرامج *
- (٣) زيادة الانتاج الزراعي بجميع جوانبه بتوسيع رقعة الأراضي المروية، وزيادة توفير المستلزمات لاسيما من القروض، وتوفير أسعار مجزية للمزارعين، ومرافق للتسويق، والتخزين، والتجهيز، والنقل *
- (٤) تنفيذ برامج لادارة الاغذية يتضمن اقامة مخزونات وقائية كافية، وتحسين طرق التخزين، وايجاد أنظمة للتوزيع العام الواسع، لتوفير الحبوب الغذائية بأسعار معقولة للمستهلكين في جميع أنحاء البلاد *

لقد أدركنا — منذ وقت طويل — أهمية العلاقة بين الاصلاح الزراعي والتنمية الريفية * فقد أعاق النظام الاقطاعي القديم والحكم الاستعماري مسيرة الثورة الاجتماعية في بلادنا ، وحرمت عشرات السنين من الاستفادة بثمار التقدم * وعقب الاستقلال مباشرة ، أصبح الاصلاح الزراعي مجالا من مجالات الالؤوبة * ففي الماضي ، كانت ملكية الراضى وحقوق الحياة تضر بمصالح الفقراء والضعفاء * كما كانت مهمة احداث التحولات المرجوة في ملكية الراضى والثروة الحيوانية من الطوائف الغنية الى الطوائف الفقيرة ، مهمة شاقة للغاية * ومع أن الأوضاع الحالية ليست بمرضية كل الرضى ، فاننا على الاقل أحرزنا تقدما ملحوظا في معظم الجبهات ، وفرضنا حدا أعلى لملكية الراضى ووفرننا الضمانات للحياة * وعلاوة على ذلك فاننا نجحنا في تغيير النفسية القديمة التي كانت تلظر الى الراضى باعتبارها رمز الهيبة والمكانة ومصدر الأمن والأمان بدلا من اعتبارها وسيلة هامة من وسائل الانتاج * وعلى أساس نسبة الراضى الى السكان ، أدخلنا نمطا موحدا يفرض حدا أعلى لحياة الراضى انخفض الى ما يتراوح بين ٥٠ — ٨٠ فدانا للأسرة الواحدة ، وقد بدأت الآن عملية تنفيذ * وتقابل هذه القوانين بالطاعة التامة ، لا من الناحية الادارية فحسب ، ولكن من حيث أن طائفة الملاك قد عودت نفسها على تقبلها * ونحن عاقدون العزم على استكمال هذه العملية وتوزيع الفائض من الراضى على الفور * ولقد استطاعت احدى الولايات — وهي ولاية البنجاب ، التي حققت بعضا من أرفع مستويات الانتاجية في العالم — أن تحقق مثل هذا التقدم السريع بعد ادخال الأصناف الجديدة من القمح والأرز منذ عام ١٩٦٧ وما بعده ، ويعزى هذا أساسا الى أنها تتوافر فيها ثلاثة من أهم الشروط الأساسية اللازمة لادخال التكنولوجيا الحديثة ونشرها بسرعة — ألا وهي تطوير الملاكين ، والاعلام الريفى ، وكهربية الريف *

ويمكن أن تزيد كفاءة الاقتصاد الريفى من خلال لامركزية الانتاج ودعم التسويق بخدمات مركزية فى المناطق الأساسية * وتعد الحركة التعاونية لدينا في مجال منتجات الألبان ، والتي بدأت في منطقة جوجارات وامتدت الآن الى مناطق أخرى ، مثلا على الامكانيات الصخمة للموارد البشرية * وبمقتضى البرنامج القومي لمنتجات الألبان ، المعروف باسم " عملية قبض الالبان " التي بدأت عام ١٩٧٠ ، زاد عدد الجمعيات التعاونية لانتاج الألبان في القرى من ١٥٠٠ الى ١٢٠٠٠ جمعية * وبشارك في هذا البرنامج ١٦ مليون من منتجي الألبان مع عائلاتهم * ويظهر من الدراسات التي أجريت أخيرا أن أكثر من نصف هؤلاء المستفيدين هم من العمال المعدمين والمزارعين الحديين الذين يملك الواحد منهم أقل من هكتارين من الأرض * والمبالغ التي يحصل عليها هؤلاء الفقراء من الألبان لها أهميتها الحيوية لديهم * ونتيجة للعون الذي تلقاه هؤلاء الأسر المعدمة من جانب الجمعيات التعاونية فانها تستطيع أن تضاعف دخلها نتيجة للتوسع في انتاج الألبان وبيعها ، بالإضافة الى أن العائد من اللبن يحصل يوميا ، وغالبا ما تحصله مباشرة النساء اللاتي يقمن برعاية الحيوانات فعلا * ويجرى العمل في الوقت الحاضر لتوسيع نطاق هذا البرنامج بحيث يشمل ١٠ ملايين أسرة من أسر المزارعين خلال السنوات الخمس القادمة * ونحن ممتنون لكل من المنظمة وبرنامج الاغذية

العالمى لما قدماه من دعم لهذا المشروع ، ونأمل أن ننشئ تنظيمات تعاونية مماثلة فى مجالات زراعة الخضر وتربية الأحياء المائية والجمع بين الزراعة والغابات • فالقوة الجماعية لصغار المزارعين والصيادين تتيح لهم الحصول على مزيد من المدخلات وتحمل قدر أكبر من المخاطر •

لقد أطلت الحديث ، الى حد ما ، عن تجربة الهند لأنى أعرفها ، ولأننى أود أن أبين أنه اذا كانت أمة تتألف من ٦٨٣ مليون نسمة قد تمكنت من توفير الغذاء اللازم لها ، فان التغلب على الجوع ليس أمرا متعذرا • أننى أدرك نواحي الضعف والقصور لدينا وكم ينبغى أن نضاعف جهودنا • فما زالت هناك مشاكل متعددة ، كالتفاوت الكبير ، وسوء أحوال المعدمين الذين لا يعملون بطاقتهم الكاملة ، وضرورة توفير وجبات أغنى بالعناصر الغذائية ، وإيجاد وسائل جديدة لانتاج الأغذية أكثر اقتصادا فى الطاقة • فقد أمكن فى بضع السنوات الماضية تحقيق مستويات أعلى للانتاج نتيجة للتوسع فى استخدام الطاقة • ويبدو للزراعة ، لا فى الهند وحدها بل وفى كل مكان آخر ، حتى فى البلدان المتقدمة ، ان تجد الوسيلة لانتاج المزيد مع استخدام مدخلات أقل من الطاقة ، والأسمدة، والآلات الزراعية التي تستهلك الوقود •

وعندما نستعرض الزراعة العالمية ، نجد أن بعض النقص قد حدث فى انتاج الأغذية خلال العقد الماضى • وهذا من الأمور التي تدعو الى القلق ، خاصة اذا أضفنا اليه تزايد السكان واستمرار التضخم فى معظم البلدان • ان العدد المطلق للذين لا يجدون كفايتهم من الغذاء لا يتناقص بالسرعة الواجبة • بل لعل هناك من الدلائل ما يشير الى أن هذا العدد أخذ فى الازدياد • وذلك يحدث فى الوقت الذى أصبح فيه العالم فى مجموعه يملك مايكفى من المعرفة والوسائل التكنولوجية والأموال للقضاء على الحاجة • ومن الواضح أن مؤسساتنا السياسية وغيرها لم تساير سرعة الامكانيات والتطلعات • كما أن كثيرا من البلدان لا تملك الامكانيات المالية • وهذا ما يزيد من أهمية اعتماد البلدان بعضها على بعض •

وقد كان هذا الاعتماد المتبادل قائما على امتداد القرون • فنباتات البلد الواحد وخصائصها الوراثية قد انتقلت الى البلدان الأخرى أو نقلت اليها قصدا • وهناك خلافاط طريفة تدور حول أنواع الفاكهة أو الأشجار التي نقلت من هذا البلد الى ذاك أو من هذه القارة الى تلك • وأقرب الأمثلة على هذا التبادل الواسع عبر القارات ، ما يحدث فى مراكز البحوث الزراعية فى الهند حيث يجرى استخدام مؤسسات العينات من بذور الأرز ، والقمح ، والقطن ، والفول السودانى وغيرها من بلدان نائية من أجل انتاج سلالات محلية تتميز بالخصائص وصفات المقاومة اللازمة للظروف المحلية • وما زال هذا السعى مستمرا بلا هوادة وبمسهم فيه بدور أساسى المزارعون المتقدمون ، الكبار منهم والصغار •

وكانت هناك دائما تجارة فى المنتجات • وكان الاعتماد المتبادل يتخذ فى العهد الاستعماري صورة نقل المنتجات الزراعية بكميات كبيرة وبأسعار منخفضة من البلدان المستعمرة الى الدول الكبرى • وكان الاهتمام الرئيسى موجهها لانتاج المواد الخام الزراعية اللازمة لصناعات الدول الاستعمارية • ولقيت زراعة القطن ، والبذور الزيتية ، والتبيلة (فى الأيام الغابرة) ومحاصيل أخرى مثل البن والشعير والكاكاو والمطاط والتوابل تشجيعا لاستخدامها • وعندما انتهى العهد الاستعماري لم تتمكن البلدان المنتجة من احداث تغيير كامل لهذا النمط لمسالك التسويق القائمة على التبعية • وعندما تكون المحاصيل طيبة ، تنخفض الأسعار العالمية • وعندما تكون المحاصيل سيئة ، يجرى التحكم فى السوق بحيث يحصل التجار والوسطاء على الأرباح دون المنتجين • وتتناقص حصة الدول الضعيفة فى التجارة العالمية ، ولا سيما الدول التى يعتمد اقتصادها على محصول واحد •

والعجز عن تنظيم التجارة الدولية للسلع الزراعية على نحو يتيح لها تعزيز الانتاج وتوفير الاستهلاك فى كل مكان ، من الأمور الملحوظة بالنسبة للمحاصيل الصناعية والاشهائية معا كما تطبق على الحبوب الغذائية • وقد فشلت المحاولة التى بذلت لاقرار اتفاقية دولية جديدة لتجارة القمح تهدف الى ضمان استقرار الأسواق وتوافر الامدادات • فالبلدان الرئيسية المنتجة للحبوب فى العالم ليست على استعداد للتخلي عما يتحده لها مايسمى قوى السوق الحرة من مميزات ، والقدرة على استخدام الأغذية كسلاح سياسى • وتفرض للمستلزمات الزراعية الأساسية، كالأسمدة والمبيدات الحشرية أسعار مرتفعة تجعلها بعيدة عن متناول من تمس حاجتهم اليها • وتفرض الدول الصناعية حماية على منتجاتها الزراعية تصل الى ٧٠٠٪ بالنسبة لعدد من المنتجات الزراعية المصنعة • وقد تبين من دراسة أجرتها " الأونكتاد " على ٤٦ صناعة ان خفض تلك الحواجز بنسبة ٥٠٪ يمكن أن يساعد البلدان النامية فى توسيع تجارتها بمقدار ثلاثة مليارات دولار أى بزيادة نسبتها ٢٥٪ عن قيمة تلك الصادرات فى عام ١٩٧٧ •

وعلى الرغم من النداءات المتكررة فى جميع أجهزة الأمم المتحدة ذات العلاقة لم يتم الوفاء بعد بالأرقام المستهدفة التى تم الالتزام بها فى اطار اتفاقيتى المعونة الغذائية والبالغة عشرة ملايين طن ، وفى اطار الاحتياطى الدولى من أغذية الطوارئ والبالغة ٥٠٠٠٠٠ طن ، وان كانت هذه فى حد ذاتها تعتبر منخفضة بالمقارنة بالحد الأدنى المحسوب من الاحتياجات الذى يبلغ ضعف الأرقام المذكورة • ان احتمال الحصول على الموارد التى يحتاجها الصندوق الدولى للتنمية الزراعية لبرامجه خلال الفترة ١٩٨١ - ١٩٨٣ ، أشعرنى بالسعادة كما أنى مرتاحة جدا لأن صندوق النقد الدولى قد وافق على مبدأ " التسهيلات الغذائية " الذى يتيح للبلدان التى يعانى ميزان مدفوعاتها من صعوبات بسبب التكاليف الزائدة فى الواردات الغذائية القيام بسحب تعويضى • وسيخفف هذا بعض الشئ من أعباء البلدان التى تعانى من عجز دورى فى المحاصيل • ولاشك أن مثل هذه المساعدة جديدة بالتقدير ، غير أن البرامج الدولية الهامة لم تحصل على الدعم الضرورى بعد • فالاستجابة الضعيفة لمناشدة برنامج الأغذية العالمى من أجل تقديم مساهمة قدرها مليار دولار للفترة ١٩٨٠ - ١٩٨٢ ، وعدم تحقيق نسبة ٧٠٪ من اجمالى الناتج القومى ، وهى النسبة

المستهدفة لمساعدات التنمية ، والاستمرار في تأجيل تحقيق اتفاقية جديدة لتجارة القمح ، كل هذه الأشياء دليل على مدى التردد في معالجة بعض العوامل الأساسية للأمن الغذائي العالمي .

وتحتّم جميع هذه الاتجاهات على البلدان النامية اتباع سياسات الاعتماد الذاتى الاجتماعى ، بأقصى حد ممكن من العزم والقوة ، وعلى الخصوص فى مجال الأمن الغذائى . ولا يشك أحد فى مدى فائدة المساعدة الخارجية التى تقدمها البلدان الغنية ، خلال الأزمات وفى المدى القصير . ولكن زيادة الاستثمارات الأجنبية والتسهيلات المالية الامتيازية وحدها لا تشكل علاجا مستديما لمشاكل العالم النامى . ولهذا ينبغى على البلدان أن تبذل قصارى جهدها لبلوغ مستوى الاكتفاء الذاتى فى أقصر وقت ممكن .

ومن المحتمل أن تكون عوامل تزايد الوعى بالترباط الايكولوجى للبلدان ، ومشكلة الطاقة التى تزداد حدة بمثابة أسمنت يربط بين الدول ويقرب مفهوم العالم الواحد الى الحقيقة الواقعية . ويعتقد الخبراء أن الزيادة المستمرة لثانى أكسيد الكربون فى الطبقات الجوية ، بسبب حرق كميات كبيرة من الوقود قد يؤدى الى تغيير درجات الحرارة فى مطلع القرن القادم . ومع أنه لا يمكن التنبؤ بنتائج هذا التغيير بدقة ، يشعر كثير من المختصين أنه قد يلحق أضرارا ببعض الأقاليم الزراعية مرتفعة الانتاج فى المناطق الشمالية . وهذا يشير بوضوح الى أنه عند دراسة مسألة الأمن الايكولوجى نجد كذلك أن صرح الأمن الغذائى ينبغى أن يكون عالميا ، وأن يشمل الجنوب والشمال .

ان الانسان لقادر على تحسين الطاقة الانتاجية للأراضى والمياه . ومن الممكن تحويل أنهار الحزن الى أنهار ثراء من خلال تعاون البلدان التى تشترك فى الأنهار الدولية . ولا ريب أن الموارد الوراثية للنبات والحيوان تشكل ميراثا مشتركا وهى جديرة بالصيانة وبأن تستخدم بطريقة تعاونية . ومن الممكن فى كثير من الحالات ، وقف زحف الصحارى وانقاذ الامكانيات البيولوجية للأراضى من الدمار ، بالتعاون الاقليمى والدولى ، ويساعد الاذار من خلال الترتيبات العالمية والاقليمية لرصد الأحوال المناخية فى تخفيف الأضرار التى تلحقها التقلبات المناخية بالمحاصيل . ان الآفات والأمراض لا تحترم الحدود السياسية ولا تقف عندها . وقد تمكنا من القضاء على انتشار الجراد من خلال العمل المنسق برعاية منظمة الأغذية والزراعة .

واعتقد أن التوزيع العادل للمخزونات المعروفة من الطاقة والمشاركة فى تنمية الموارد الجديدة والمتجددة يعتبر محكا لازادة الدول من أجل البقاء والعيش فى رخاء وانسجام وكرامة . ويمتلك عدد من البلدان المصدرة للنفط الذهب السائل تحت الرمال القاحلة . ففي عام ١٩٧٩ استوردت ستة بلدان من البلدان الغنية بالبتروى ، الواقعة فى غرب آسيا ، زهاء ستة ملايين طن من الحبوب تقدر قيمتها بنحو ١٦ مليار من الدولارات وحتى هذه الأموال تعود الى خزانات البلدان الغنية . ويمكن أن يؤدى التعاون المفيد بين البلدان النامية التى لم يتم بعد استغلال امكانيات انتاجها الزراعى والبلدان الغنية بالنفط التى تملك فائضا من الموارد المالية ولكنها لا تنتج ما يكفيها من المواد الغذائية الى احداث تغييرات ونتائج ايجابية على نطاق واسع .

ان الزراعة أهم موارد الثروة المتجددة • وبوسع برامج الكتلة الحيوية أن تحل عددا كبيرا من المشاكل في المناطق التي تتوافر فيها الأراضي الزراعية • وليس بوسع الهند أن تحول بعد أراضيها لانتاج الكحول في الوقت الذي تقتضى فيه الحاجة اطعام عدد متزايد من السكان • ولكنه في امكاننا أن ننتج الوقود والعلف والأسمدة التي تحتاجها المناطق الريفية من خلال التخطيط البارع والدقيق للبرامج المتعلقة بالاستغلال الاجتماعي للغابات • أما بالنسبة لصغار المزارعين فان زراعة المحاصيل البستانية تعتبر أسلوبا مرغوبا فيه من أساليب استخدام الأراضي ، وهو يحسن التغذية ويرفع مستوى الدخل • فان ضعف تكنولوجيا مابعد الحصاد يحرم المزارع الفقير من عائدات انتاجه • ويعتبر الاستغلال الاجتماعي للغابات في كل قطعة أرض شاغرة احدى الوسائل للحصول على الطاقة الشمسية وستكون هذه هي الثورة الخضراء الحقيقية •

وعلى كل بلد أن يعطى مزيدا من الاهتمام للمحافظة على الغابات • وقد عثر على لوحة معدنية صغيرة عمرها خمسة آلاف عام في وادى الاندوس تحمل صورة اثنين من الحمقى يقطعان شجرتين من جذورهما • وفى وسط اللوحة شكل يمثل روح الشجرة وهى تبسط ذراعيها مبتهلة وضع حد لهذا الدمار • وهناك صورة معاصرة لذلك لنسوة تحتضن أشجارا لحمايتها من القطع • وهناك حكمة قديمة في كشمير تقول انه " سيكون هناك طعام طالما هناك غابات " • فالعلاقة الوثيقة بين انتاج الأغذية والغابات معروفة جيدا ولكنها تقابل بالتجاهل في الواقع • فالضغط الذى يمثله التصنيع والتمددين والطلب المتزايد على المنتجات الزراعية يتسبب في ازالة الغابات بشىء من الاستهتار في أقاليم عديدة • فاستخدام المنتجات الحراجية بحكمة — بما في ذلك استخدام الخشب في عمليات الاسكان المحلية — أصبح أمرا غير ميسور بالنسبة لفقراء الريف • وأزمة الطاقة الحقيقية التى تواجه الملايين في البلدان النامية هى قلة الحطب • ولاشك أن ادارة الموارد الحراجية بأسلوب علمي — مع توجيه اهتمام خاص لتجمعات المياه وللحياة البرية — سوف يساعد الملايين الصامته ، كما سيوفر الرخاء الوطنى على المدى الطويل •

ان استخدام التقنيات دون فهم كاف لأثرها على العمالة وآثارها الاجتماعية الأخرى يؤدى الى محنة • فالناس — وخاصة النساء الريفيات — أخذوا يقصون عن مهتهم التقليدية • وملايين النساء في الهند يعشن من بيع الخضر والفاكهة أو تصنيع منتجات المزارع أو تجفيف الحبوب وتخزينها • كما أنهن يتولين عادة الاهتمام بادارة شؤون الطاقة بالكامل ، وهى الادارة التى تقوم أساسا على جمع واستخدام المخلفات الزراعية والحيوانية وعلى تقنيات مابعد الحصاد • وقد تضررت المرأة من استخدام أساليب الطاقة الكثيفة والتقنيات التى أدت الى الاستغناء عن اليد العاملة التى استخدمتها البلدان المتقدمة في تقنيات مابعد الحصاد ، والتى تتطلب في نفس الوقت مزيدا من الطاقة •

ومن المفيد استخدام أحدث التقنيات أينما كان ذلك مفيدا . فهناك مجالات عديدة لا تتنافس فيها الأيدي العاملة مع التقنية الحديثة من أجل الحصول على فرصة للعمل ، مثل التصوير بالأقمار الصناعية لرسم خرائط الموارد ، والتنبؤ بالأحوال الجوية ، وبذر البذور من الطائرات لزراعة الغابات في المناطق الصحراوية والجبلية ، كما أنه من الممكن تحسين أساليب تربية الأسماك وصيدها في المياه الإقليمية وفي المحيطات . كما يجب تطوير الأساليب الحديثة لصيانة التربة ورعاية النباتات والصحة الحيوانية . ولا شك أن هناك حاجة لأساليب الاتصال الحديثة . فأجهزة الكومبيوتر التي ترسم خرائط الأحوال الجوية سوف تساعدنا في وضع استراتيجيات بديلة للزراعة ، وخطط للطوارئ ، وبرامج لتعويض الإنتاج لكي تقلل من الآثار الضارة للأحوال الجوية السيئة . ولا شك أن التطورات الأخيرة في مجالات علم الوراثة والتكنولوجيا البيولوجية نافعة لأغراض عديدة في الزراعة وتربية الحيوان والغابات ومصايد الأسماك . فهذه المجالات وغيرها تتيح لنا فرصا لتحقيق قفزة حقيقية في تقدمنا التقني .

ورغم هذا ، فإن آخر ما حققه أي بلد متقدم من تقنية ، قد لا يناسب بلدا ناميا . فاحتياجات البلد هي التي يجب أن تقرر التقنية المناسبة ، ومن هذه الزاوية فإن بابا جديدا لخلق تقنيات خاصة ومبتكرة يفتح على مصراعيه . وثمة عنصر آخر لا يجب أن يغيب عن بالنا ، ألا وهو أن البلدان النامية لا تستطيع في أغلب الأحيان مواجهة تكاليف البذخ الغالب على تكاليف التقنيات المتغيرة دون أن تجرب أي منها لفترة معقولة .

واستيعاب التقنية ليس مجرد حساب التكاليف والمزايا ، وثمن التقنية ، والوفاء الذي يحققه الاستغناء عن اليد العاملة ، والدخل الذي سيأتي به الإنتاج . فالتقنية لها تأثيرها على المجتمع وعلى طريقة الحياة نفسها وعلى علاقة البشر بالمواسم . ولا يمكن فرض التغيير التقني عتوة ، وإنما يجب أن يتم من خلال عملية تطور . ومهما كانت التقنية حديثة ، ومهما كانت مفيدة ، فإنها لا بد قبل ذلك أن تساير الثقافة والطاقت المحلية ، وأن تحول التقاليد المتوارثة إلى المعاصرة بأسلوب سلس .

ولا بد أن يكون التخطيط للتقدم الزراعي تخطيطا وطنيا مع الاسترشاد بال نظرة العالمية . ويمكن أن تكون البداية من خلال اعداد ميزانيات زراعية محددة وموثوق بها باستخدام الوسائل الحديثة لمسح الموارد ، التي تقوم على الاستشعار عن بعد وعلى الخرائط الجوية . وهناك من أنصار التقنية المناسبة من يودون أحيانا أن تكفي البلدان النامية بالتقنية القديمة . ولكن هذه التقنية القديمة مرفوضة في البلدان النامية كما هي مرفوضة في البلدان المتقدمة .

ولا يجوز أن ينتظر نظام قطري للأمن الغذائي قيام جهاز دولي بتحريكه • فمواطنو أى بلد من البلدان هم مسوؤلية الحكومة التى تطالب بولائهم • ولقد تحملت حكومات العالم النامى أعباء لا يعرفها حكام المجتمعات الغنية • ومعظم التفاوت والاستغلال الذى نحاربه فى المجال الدولى يلطمنا فى بلادنا ، وليس هناك من حل دائم للجوع دون وضع حد للتفاوت الاجتماعى والاقتصادى • ولكن جهودنا فى هذا الشأن تصطدم بقيم أخرى وضعتها المجتمعات الغنية التى لم تفكر فى مثل هذه المشكلات أو لم تتعرض لها خلال فترات نضالها • ان ندرة امدادات الأغذية ليست فى الواقع الا جزءا من مشكلات قائمة ، وان كانت تشكل تهديدا خطيرا بالنسبة للمستقبل • فالكثيرون منا ينتجون الأغذية التى يحتاجونها ، ولكنهم يعجزون عن ايمالها لكل فم • ولكى يكون للأمن الغذائى الوطنى أثر دائم ، فلا بد أن تكون له مظلة من التأمين الاجتماعى •

وتقتضى المخزونات اللازمة لضمان الأمن الغذائى أكثر من مجرد معونات سخية دورية يقدمها الأغنياء ، فالجوع لا بد من معالجته من خلال القيام باصلاحات تنظيمية واعية داخل البلدان وفيما بينها ، لا أن نكتفى باللاحاق بالمستوى التكنولوجى أو اضافة ما يلزم من الامدادات الغذائية • ولا يمكن اعتبار التكنولوجيا اجابة كاملة للمشكلة كما أنه لا يمكن اعتبار أى تحسين فى مستواها سببا لتغيير المؤسسات بصورة تلقائية • وعلى أى نظام فعال للأمن الغذائى العالمى أن يزيل جميع المعوقات والحواجز التنظيمية التى تتسبب فى خلق ندرة مصطنعة ، وعلى مثل هذا النظام أن يضمن انشاء مخزونات عازلة بحيث يتسنى مواجهة حالات الطوارئ التى لا يمكن التنبؤ بها ولا تجنبها • ومن الواضح أنه لا يمكننا التحكم تماما بنزوات الطبيعة ، لكن ذلك لا يعنى أن نخضع لسيطرة مؤسساتنا •

فالعالم يمتلك القدرة التكنولوجية والموارد المالية اللازمة لاستئصال الجوع وسوء التغذية فى نهاية العقد الحالى ، اذ يكفى ٣% فقط من الانتاج العالمى الحالى من الحبوب لاستئصال الجوع فورا • ومع ذلك ، نلاحظ أن حملة التحرر من الجوع التى بدأتها المنظمة بمبادرة من مديرها العام السابق الدكتور سبين ، لا تحظى بما تستحقه من دعم وعناية ، لأن مسألة الأمن الغذائى هذه تثير تحديا هائلا للعالم ألا وهو مكافحة سوء التغذية والجوع •

وقد اقتصرنا أحاديثنا حتى الآن على المبادرات الوطنية والدولية لانتاج المزيد من الأغذية وتحسين توزيعها • فجوعى كنا أم متخمين ، فاننا نعيش جميعا فى ظل خطر ابادة مريع يتمثل بتلك الترساة الرهيبة من الأسلحة النووية وغيرها • فهل نحن نكافح ضد الجوع ومآسيه لنشهد بعد ذلك العالم وهو ينفجر ويتمزق اربا ؟ وهل نحافظ على الجسم البشرى ونعتى بصحته وحيويته لالشيء الا لنقدمه به بعد ذلك قربانا على مذبح الحرب ؟ ان الجوع هو ، عموما ، أهم الأسباب الشائعة المولدة للعنف سواء فى الانسان أم فى الحيوان • وقد نشبت حروب عديدة بسبب الغذاء أو الأرض أو الشرف • ومن المفارقات الغريبة اليوم أن المولعين بالقتال ليسوا الجوعى بل المتخمون •

ويرى بعض كبار الاقتصاديين أنه لو أمكن تجريد الانفاق العالمي حتى على مستواه الحالى وقدره ١٢ مليار دولار يوميا ، فانه يمكن ايجاد الأموال التى تكفى لاستئصال الجوع . فالأموال التى تتفق على إنتاج صاروخ جديد عابر للقارات يكفى لغرس ٢٠٠ مليون شجرة ، أو رى مليون هكتار من الأرض ، أو اطعام ٥٠ مليون طفل فى البلدان النامية ممن يعانون من سوء التغذية ، أو شراء مليون طن من الأسمدة ، أو تشييد مليون وحدة صغيرة لإنتاج الغاز العضوى ، أو بناء ٦٥ ألف مركز للرعاية الصحية أو بناء ٣٤٠٠٠٠ مدرسة ابتدائية . والاتفاقيه الاستراتيجية لاستئصال الجوع ، التى دعا اليها الرئيس كينيث كاوندا فى محاضرة سابقة فى هذه السلسلة من المحاضرات ، وخاصة اذا صحبها نزع السلاح بصورة تدريجية ، تعتبر برنامجا جديرا بالاهتمام .

ولم يدرك الجنس البشرى أهمية الأرض ، ويرى فيها الأم الروم ، وينظر اليها نظرة التقديس ، الا من خلال استعمال المحراث .

وقد تعرضت الأرض للنهب ، والدنس وفرض عليها العقم — وربما كان ذلك من خلال الجهل فى المراحل الأولى — لكن دافعه فى السنوات الأخيرة كان الطمع والخطورة . ولم يعد اليوم مصدر الخطر الأساسى على بقاء الجنس البشرى هم الجهلة بل الذين يعرفون . فلم تعد المعرفة سبيلا الى اقرار الحق . ويبدو أنه لم يعد هناك من يتألم للبهوس أو الضعف . اننا نتحدث عن أزمة فى البيئة الانسانية والوعى ، والقيم . ولكننا لا نرى فى ذلك انهيارا واختلالا فى نمط العلاقات المتشابكة .

والتسليم بأن تصرفات البشرى التى تحدد مستقبل المادة الخام للحياة ، ينبغى أن ينبهنا الى مسؤولياتنا . وعلينا من خلال التوعية والتربية أن نعيد نظرة التقديس التى ترى أن موارد العالم — كالهواء والفضاء ، والأرض والماء ، والنبات والحيوان — تراث مشترك لا بد من رعايته واستخدامه بحرص . فالحياة لا يمكن أن تستمر الا اذا توافر الادراك العميق بكون الأرض واحدة ، وأنه لا بد من اقتسام ثروتها بطريقتة منسقة ، دون اخلال بالتوازن أو انتهاك لقوانين الطبيعة .

ورخاء أى بلد من البلدان مرتبط برخاء بقية العالم . والاعتماد المتبادل بين الأمم الحرة ، لمصلحة الجميع ، يتطلب أن يحرص كل بلد على الاعتماد على الذات ، والتسليم بأن البلدان الصغيرة والضعيفة تستطيع أيضا بل وينبغى أن تسهم بنصيب فى الرخاء العام . وتحضرنى فى هذه المناسبة قصة طريفة رواها شاعرنا رابندرانات طاغور ، يقول فيها :

سأل بوذا أتباعه عندما انتشرت المجاعة فى شرافاستى : " من منكم سيقوم بواجب اطعام الجياع " ؟
فرفع رجل المصارف " راتاكار " رأسه وقال : " ان الأموال اللازمة لاطعام الجياع تزيد كثيرا عن ثروتى بكاملها " .

وقال جاياسن قائد جيوش الملك : " انى على استعداد لبذل كل قطرة من دمي ، ولكنى لا أملك الكفاية من الغذاء فى بيتى " .

وقال " دارما بال " الذى يملك مساحات شاسعة من الأرض وهو يتعهد آسفا : " ان كارثة الجفاف قد نزعت ماء الحياة من حقولى ، ولا أعرف كيف سأسدد الضرائب المستحقة للملك " .

وعند ذلك وقفت " سوبريا " ، ابنة الشحاذ ، فأحنت رأسها للجميع وقالت بتواضع : " سأقوم أنا باطعام الجياع " .

وصاحوا جميعا فى دهشة : " كيف ؟ كيف يمكنك تحقيق هذا الوعد " ؟

وقالت سوبريا : " انى أفقركم جميعا ، وهذا مصدر قوتى . فلى فى مسكن كل واحد منكم صندوق وزاد " .